الفلسفة الوجودية في شعر التفعيلة

الدكتور حازم سليمان الناصر

استاذ الفلسفة المساعد في قسم الفلسفة في كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة :

أن الوجودية [١] ، أولاً وقبل كل شيء مذهب يبحث عن معنى الإنسانية لأن البحث عن معنى الإنسانية ضروري في عصر ضاع فيه هذا المعنى ، والوجودية تنظر الى الشخصية الإنسانية على أنها لوحة يقوم الإنسان برسمها يوماً بعد يوم ولونا بعد لون ولمسة بعد لمسة وعليه فإن الإنسان يرسم نفسه ويكتبها واعيا أو غير واع واثقا أو غير واثق سعيدا أو شقيا ، كما يجسد فيها قلقه ويأسه ومعاناته ، وتلك معان لا يعبر عنها ألا من يملك خيالا وحسا مرهفا ، وهذا ما نجده عند الشاعر الذي يقول عنه الناقد (كولردج) (لم يستطيع أنسان أن يصبح شاعرا كبيرا دون أن يكون فيلسوفا عميقا ، لأن الشعر نتاج معارف الإنسانية جميعا) [٢] ، وعليه فهو لا يرى أن لا يكون الشاعر فيلسوفاً فحسب وإنما أن يكون فيلسوفا صادقا ، ألا اذا كان شاعرا .

أن الشعر يستهدف حقيقة الشعور ، فالشعراء يدركون الحقيقة ، بإلقاء أضواء من أخيلتهم على العالم الخارجي ويعتقدون أن ما يراه الخيال جمالا وحقيقة . فضلا عن ذلك فأن الشعر ينتمي للتجربة تجربة الشاعر بكل أحاسيسها

---

(١) بينّا في أكثر من بحث مفهومها ونشأتها وتطورها وأهم روادها وأهم مفاهيمها ، أنظر رسالتنا في الماجستير (الوجودية في الفكر العربي المعاصر) جامعة بغداد ، قسم الفلسفة ١٩٩٠ ، رسالتنا في الدكتوراه ، الفلسفة الوجودية في الرواية العربية المعاصرة جامعة بغداد ، قسم الفلسفة ١٩٩٥ .

(٢) المنفلوطي ، حسن لطفي : الشعر والفلسفة (مقال) مجلة الكتاب المصرية ، دار المعارف للطباعة والنشر ، مج ٩ ، ج٦ ، السنة الخامسة ، ١٩٥٠ ، ص ٥١٣ .

وأنفعالاتها الثقافية والأجتماعية والتي لا بد أن تتجسد في التعبير الذي يستقر في الذهن والحواس والمشاعر بقوة ووضوح ودقة وفورية نابضة بالحياة [١] .

من هذا المنطلق ، نرى ، أن الفلسفة الوجودية تعد من أقرب الفلسفات الى الشعر ، والشعر أقرب الفنون الى الوجودية ، لأن الشعر والفلسفة صورتان للتعبير عن الوجود ، أحدهما عند الإمكان (الشعر) والأخرى للتعبير عن الآنية (الفلسفة) والوجود إمكانية وآنية معا وعليه فالشعر والفلسفة متكاملان ولا غنى للواحد عن الآخر [٢] .

ولقد أخترنا الفلسفة الوجودية كتيار فلسفي معاصر ، برزت بشكل ملفت للنظر بعد الحرب العالمية الثانية ، وتأثرت بها أغلب المعارف الإنسانية من أدب وفنون ، بل حتى الساحة السياسية والأجتماعية تأثرت بها ، وبرز في الفترة نفسها تيار شعري في الوطن العربي ، كما له أنصاره أطلق عليه (الشعر الحر) والتسمية الصحيحة له شعر التفعيلة .

وفي بحثنا هذا ، نوضح أثر الفلسفة الوجودية في شعر التفعيلة في العراق ، وبما أن لهذا الشعر روادا له لا زالوا يرفدون هذا الأتجاه بقصائدهم ذات التفعيلة الواحدة فسيكون من الصعب علينا تقديمهم في هذا البحث المتواضع لذلك فضلنا التأكيد على رواد هذا الأتجاه ولا سيما السياب ، ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري عبر التأكيد على أهم المفاهيم الوجودية التي أنتشرت هناك وهناك في قصائدهم على أمل أن نطور هذا البحث مستقبلاً ليشمل بقية الشعراء العراقيين المعاصرين الذين أهتموا بشعر التفعيلة .

---

(١) شلش ، علي : الفكر الشعري ، مقال ، مجلة الشعر القاهرية ، مج ٣ ، العدد ١٢ ، السنة الاولى .

(٢) بدوى عبد الرحمن : الأنسانية والوجودية في الفكر العربي ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ١٩٤٧، ص ١٠٧ .

قبل البدء بالتفاصيل ، لابد أن نبين مسألة مهمة وهي أن المفاهيم الوجودية التي نتلمسها عند الشعراء ، سوف نبتعد عن الخوض في معناها اللغوي المصطلح الفلسفي ، لأننا بيّنا ذلك في بحوث سابقة [١] .

بدر شاكر السياب [٢] :

من رواد الشعر العربي الحديث ، أمتاز بنظرة واسعة في معالجة القضايا الإنسانية ، وهو شاعر موهوب أهتم بالإنسان الذي ضل يبحث عن ذاته في هذا العالم ، ولما كان السياب يعاني من استلابات نفسية واجتماعية بسبب الظروف السياسية والإجتماعية فقد سارع نحو تحقيق وجوده بين جماعة في اقصى ظروف القهر والحرمان [٣] . فأتخذ سبلا عديدة ، فلم يترك طريقا ألا وسلكه ولا فكرة ألا وأعتقلها ، لذا وجدناه يقول : [لقد رافقت (جلجامش) في مغامراته (وصاحبت عوليس) في ضياعه وعشت التأريخ كله ألا يكفي هذا] [٤] .

ان من أهم المفاهيم الوجودية التي يهتم بها السياب ، بل يحس بها ويناقشها في أشعاره هو (الموت) ، ذلك الإحساس الذي لم يفارق يوماً هاجس السياب ، بل أنه يخاف منه ، وأن أعلن فيما بعد أنه ، لن يخافه بعد الآن ، بل أن موقفه من الموت قد تغير [٥] على كل حال يقول السياب في الموت [٦] :

الموت في الشوارع
والعقم في المزارع

---

(١) أنظر رسالتنا في الدكتوراه ، الفلسفة الوجودية في الرواية العربية المعاصرة ، التمهيد في كل فصل من فصولها .

(٢) شاعر عراقي ولد في البصرة (جيكور) عام ١٩٢٦ – ١٩٦٤ .

(٣) علي ، عبد الرضا : الأسطورة في شعر السياب ، منشورات وزارة الأعلام ، العراق ١٩٧٨ ، ص ١٠٣ .

(٤) رسالة من السياب الى عاصم الجندي بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٦٣ ، أنظر الغرفي حسن : كتاب السياب النثري ، منشورات مجلة الجواهر ، المغرب ، ١٩٨٦ ، ص ، ١٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

(٦) السياب ، بدر شاكر ، أنشودة المطر ، دار المكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٣٦ .

وكل ما نحبه يموت

والموت يصير عند السياب طائرا أسطوريا يبشر بوحدة العالم وأنسجامه ويضع براءة الوجود تجاه الخطيئة الأصيلة واللعنة والخوف[١] .

كأني طائر بحر غريب
طوى البحر عند المغيب

****

وحدقت في ناظريك
هو الموت والعالم الأسفل
هو المستحيل الذي يذهل

والسياب من الشعراء الذين عاصروا تيار الأدب الوجودي فأطلع على فلسفة هذا التيار ، ولا سيما ، أنه عاشق ومحب للفلسفة جعله يميل الى الفلسفة الوجودية ، أكثر من غيرها من الأتجاهات الفلسفية الأخرى ، ولعل لوضعه النفسي والصحي وحالة الحرمان التي كان يعيشها دورا في ذلك التوجه ، ومن المفاهيم الوجودية التي يهتم بها الى جانب (الموت) ، الغربة التي تجدها مرة غربة ذاتية يتجسد فيها الحنين للوطن [٢] .

الباب تقرعه الرياح لعل روحا منك زار
هذا الغريب هو أبنك السهران يحرقه الحنين
أماه لبيتك ترجعين
أنه يتمزق من ألم الغربة فيقول عنها [٣]
غريبا كنت حتى حين أحلم ، لست في جيكور

(١) السياب ، بدر شاكر : ديوان بدر شاكر السياب ، المجلد الأول ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٩ ، ويتضمن عدة دواوين منها أنشودة المطر ، المعبد الغريق ، منزل الأقنان ، شناشيل أبنة الجلبي ، أزهار وأساطير ، قصيدة شباك ، ص١٢٢ .

(٢) السياب ، بدر شاكر ، شناشيل أبنة الجلبي (ديوان) قصيدة الباب تقرعه الرياح ، ص ٦١٦ .

(٣) المصدر نفسه قصيدة من ليالي السهاد ، ص ٦١٩ .

ولا بغداد ، أمشي في صحارى قلبي المسعور
يريد الماء فيها (ماء . . أين الماء ؟) وهي تربة أفواها
على آفاقها الربداء ظمآى تشرب الديجور
فلا تروي ، أقضي العمر في صحراء في ليل من العطش ؟

ولعل أروع تصوير للغربة عند السياب يتمثل في الأبيات الآتية [١] :

فهل أستوقف الخطوات ؟ اصرخ أيها الإنسان
أخي ، يا أنت يا قابيل . . خذ بيدي على الغمة
أصرخ في شوارع لندن الصماء : هاتولي أحبائي
هاتولي أحبائي ؟؟
ولو أني صرخت فمن يجيب صراخ منتحـر
تمر عليه طوال الليل ألف من القطر

ان الظروف المعاشية والحالة الصحية للسياب ، جعلته يعيش حالة الغربة بكل أبعادها ، فأن غربته الحقيقية لم تكن غربة المكان أو الحب أوغربة سياسية ، بل هي غربة وجودية حقيقية تعيش مع السياب في كل مكان سواء كان ذلك في جيكور أم خارجها أم خارج الوطن ، ولعل هذا بيّن وواضح في قول ابنته غيداء التي يقول (كل الدراسات التي تناولت حياة أبي غير دقيقة وبعيدة عنه ، كان أبي يحس بالغربة حتى في جيكور [٢] ، وهذا ما يذكرنا بغربة (ميرسو) بطل الغريب لالبير كامو ، حيث كان يحس بالغربة في بيته وفي دائرة عمله ، ومشاعره تجاه والدته [٣] .

(١) السياب ، بدر شاكر : منزل الأقنان (ديوان) ، قصيدة سفر أيوب ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
(٢) لقاء أجرى معها في جريدة القادسية بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٦ ، ص ٦ .
(٣) كامو ، ألبير : الغريب ، ترجمة عايدة مطرجي أدريس ، دار الآداب البيروتية ، ط٢، بيروت ١٩٧٩ .أنظر القسم الأول ، ص ١٥٩ - ٢٠٥ .

حتى أنه بسبب هذه الغربة الذاتية يحس أنه لا جسد ولا روح ، بل أنه يعاني ، حتى أن الحياة أصبحت لا تعني له شيئاً ما ، ولعله إحساس يمتاز به أغلب الفلاسفة الوجوديين وفي مقدمتهم (سورين كبركجارد) مؤسس الوجودية الحديثة وجان بول سارتر وألبيركامو . . . وغيرهم من رواد الوجودية على هذا الأساس نجده يقول [١] :

يا غربة الروح في دنيا من الحجر
والثلج والقار والفولاذ والضجر
يا غربة الروح . . . لا شمس فأئتلق
فيها ولا أفق

لقد شعر السياب بغربة الوجود منذ فتح عينيه على هذه الدنيا فعاش مأساة غربته الأبدية عن أمه وأبيه وعن جدته ، ولعلنا نجد في ديوانه (أزهار ذابلة) البداية الحقيقية لإحساسه بالغربة نتيجة المعاناة التي عاشها السياب في بداية حياته من فقر ويتم وتخلف إجتماعي ، فنجد في قصيدة السوق القديم أحساس السياب بالغربة وهو يبحث عن وجوده العاطفي والأدبي في البصرة ولا سيما أنه يحس بأنه أبن ريف حل غريبا على المدينة ، من أجل كل هذا يقول في هذه القصيدة [٢] :

الليل ، والسوق القديم
خفيّت به الأصوات لا غمغمات العابرين
وخطى الغريب وما تثبت الريح من نغم حزين
وفي ذلك الليل البهيم

(١) السياب ، بدر شاكر : شناشيل أبنة الجلبي (ديوان) قصيدة غربة الروح ، ص ٦٦٠ .
(٢) السياب ، بدر شاكر : أزهار وأساطير (ديوان) ، ص ٢٠ .

ولعل الغربة الذاتية ، تتجسد عند السياب في قصيدة (غريب على الخليج) [١] :

وا حسرتاه متى أنام
فأحس أن على الوسادة
من ليلك الصيفي طلافية عطرك يا عـراق ؟
بين القوى المتهيبات خطاي والمدن الغريبـة
غنيت تربتك الحبيبة
وحملتها فأنا المسيح يجره في المنفى صليب

نازك الملائكة [٢]

أما نازك الملائكة ، فقد كان للفلسفة الوجودية أثر واضح في قصائدها ، بـل انها تستخدم أهم المفاهيم الوجودية وأدقـها ، الا وهـو التـأكيد علـى (الـذات الإنسانية) فهي تلح على هذه المسألة في أغلب قصائدها ، وهذا ما يتضح لنا في قصيدة (الخيل المشدود في شجرة السرو) [٣] .

ها أنا عدت وقد فارقت أكداس ذنوبي
ها أنا ألمح عينيك تطلُ
ربما كنت وراء الباب ، او يخيفك ظلّ
ها أنا عدتُ وهذا السلم
هو ذا الباب العميق اللون ، ما لي أحجمُ ؟
لحظةً ثم اراها
لحظة ثم اعي وقع خطاها

---

(١) السياب ، بدر شاكر : ديوان بدر شاكر السياب ، المجلد الأول أنشودة المطـر (ديـوان) ، ص٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢) ولدت في بغداد ١٩٢٣ ، وتخرجت من دار المعلمين العالية ١٩٤٤ ، وهيى من رواد الشـعر العربي الحديث الى جانب السياب ، لها عدة دواوين منها عاشقة الليـل ، شـظايا ورمـاد ، قرارة الموجة ..الخ .

(٣) الملائكة ، نازك : شظايا ورماد ، منشورات المكتب التجاري للطباعـة ، بـيروت ١٩٥٩ ، ص ١٦٦ .

ليكن ... فلأطرق الباب

نلاحظ في هذه الأبيات ، ان إحساس نازك بالذات احساس قوي بل يكاد يكون احساس مسرفا ، وربما يعبر عن تجربتها الحياتية ، ودليلنا على ذلك ، انها كتبت قصيدة تبين اعتزازها المسرف بالذات جاءت بعنوان (أنا)[١] ، تقول فيها :

اليل يسأل من أنا ؟
انا سرة القلق العميق الاسود
انا صمته المتمرد

******

والريح تسأل من انا
انا روحها الحيران انكرني الزمان
انا مثلها في لامكان
والدهر يسال من انا ؟
أنا مثله جبارة أطوي عصور
وأعود أمنحها النشور

ان قاريء نازك يتلمس ثقافتها الفكرية ، وهذا ليس بغريب عنها ، ولا سيما أنها نشأت في بيت عائلة مثقفة فهي في نصائح للشاعر الناشيء تقول ، له : (أول ما ينبغي أن تدركه ، أنك شاعر ، وأن للشعر وظيفة خيرة يؤديها الى الحياة والكون ، وقد لمس الله نفسك لمسة النغم لكي تكون منبعا من منابع القوة والجمال في هذا الوجود ، وشأنك في ذلك شأن القمر الذي ينير المسافات الغامضة في ظلمات الليل.)[٢] . وهذا ما يذكرنا بالطريقة التي كان يفكر بها رائد الفلسفة الوجودية الحديثة (سورين كير كجارد) من حيث تأكيده على الذات الإنسانية والإلحاح عليها إلحاحا مفرطا ، بل أنه يتوصل من خلالها الى السر الإلهي وربما

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) الملائكة ، نازك : سايكلوجية الشعر ومقالات أخرى ، دار الشؤون الثقافية وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ١٩٩٣ ، ص١٠٤ .

يعود هذا الإلحاح الى التجربة الحياتية المعاشة وعلاقته مع خطيبته التي تركها لإحساسه بأنها تعيقه عن أداء دوره الديني ، أي أنه يشعر بالوجود الصوفي [١] ، الذي تشعر به وأنت تقرأ قصيدة زنابق صوفية للرسول) تشعر على الفور بما يشبه جذبة الوجود الصوفي ، وفي ترديد أسم الرسول ترديداً أيقاعياً بأجواء الذكر والدندنة الصوفية [٢]

أحمد ، أحمد

أنا وأنت ، الطبيعة ، البحر . . . جو معبد

شمعة نذر في خاطر المرتقى تتوقد

والله في حلمنا المورد

شباك المسجد

لعل ذلك يعود الى نازك ، التي وضعت نفسها في سجن إختياري هو سجن الذات ، لأنها إعتزلت الآخرين منذ بداية شبابها وتسربت الى نفسها الكآبة ، وتسرب اليأس أليها ، فتحس أنها تفقد كل شيء ، وأصبحت حزينة ينتابها اليأس ويعتريها الألم ، وأحسن تصوير لهذه الحالة نجده في قصيدة (يوم مولدي) [٣] .

وأذا كانت غربة الشاعرة غربة عاطفية فأن غربتها الفكرية أقسى فكانت صارخة بوجه الوجود وخطيئة البشر ، فهي تعاني من هذه الغربة وتريد التخلص منها ولكن لا سبيل الى ذلك الا بالرحيل داخل (الذات) على الرغم أن هذه الذات التي تبحث عنها غارقة هي الأخرى في لجة الوجود والبشر ، لذا نجدها تقول[٤] :أحب وأكره . . . حبي شقاء

---

(١) عبد المعطي ، علي : سورين كيركجارد (مؤسس المسيحية) دار المعرفة الجامعية مصر ، بلا تاريخ ، ص ٦٠ – ٦٩ .

(٢) الملائكة ، نازك ديوان ؟ (يغير ألوانه البحر) منشورات وزارة الأعلام العراقية ط ١ ، بغداد، ١٩٧٧ ، ص ٦٥ – ٧٣ .

(٣) الملائكة ، نازك : عاشقة الليل (ديوان) ، مطبعة دار العودة ، بيروت ٨٦ ، ص ٤٧٠ .

(٤) الملائكة ، نازك : شظايا ورماد ، قصيدة صراع ، ص ٣٤ .

أحب وأكره . . . كرهي ألم
ففيم أعيش ؟ سئمت البقاء
وشاق حياتي صمت العدم

أن الشاعرة تحس دائماً بغربتها الذاتية ، الذي يتجسد في ضياع الإنسان في خضم هذا الكون ، فهي تسأم من الحياة ، لذلك تعلن ثورتها عليها وعلى الزمن ، لأن روافد غربتها مكانية زمانية في آن واحد مع هذا فهي لا تواجه الواقع ول اتصطدم (بصخرة سيزيفة) [١] ، لأنها أدركت جيداً عمق الآلآم والأحزان الذي يولده لها لهذا الواقع ، ولذلك تسعى دائماً للهروب الى عالم آخر لا نجده إلا في الأحلام أو في مدن خيالية (يوتوبيا) ، ويلح عليها سؤال الغد ، ومن نكون ؟ وماذا فعلنا ؟ ثم ماذا ينبغي أن نكون ؟؟

وها نحن ، حيث بدأنا ، نجوب الظلام البديعْ
شتاء يموت ، واسئلة لم يحبها ربيع
حيارى العيون
يسألنا غدنا من نكون
ويتركنا أمسنا المنطوي في ضباب العيون
فيا ليل ، يا بحر ، أين نضيع [٢]

هذه التساؤلات ، تولد القلق المشروع أزاء هذا الكون ، عن دورنا فيه ، وما هي الأفعال التي يجب ان نقدمها .

(١) المقصود بها العمل بدون جدوى ، وسيزيف الذي يدحرج صخرة من أسفل الجبل الى أعلاه وعندما يصل القمة تتدحرج الصخرة الى الأسفل ويكرر هذه المحاولة لكن دون جدوى وهي أسطورة يونانية تحكم فيها الآلهة على الشخص الذي يتطاول عليها وعدم إلتزامه بالنصيحة فتحكم عليه الآلهة هذا الحكم وصدرها كاموفي أروع تصوير في قصة سيزيف . أنظر كامو ، ألبير ، اسطورة سيزيف ، ترجمة أنيس زكي حسن ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ .

(٢) الملائكة ، نازك : قرارة الموجة ، ديوان ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٦ ، قصيدة الهاربون ، ص ٣٠٣ .

ولعل هذا القلق يدفع شاعرتنا الى تجربتها الصوفية التي جاءت عبر مخلص ومجاهدة نفسية عمقتها برؤيتها الباطنية للآخرين والوجود .

الشاعر(عبد الوهاب البياتي) [١] :

أما الشاعر عبد الوهاب البياتي فيجعل الانسان محور فلسفته تلك الفلسفة التي تعتمد على الحرية والحب والحياة ، لكنه يريد أن يغلب على هذه الفلسفة طابع التضحية في سبيل الآخرين ، أي انه ينادي بتوحيد الجهود للوصول الى الغاية القصوى والهدف النهائي للانسان والذي يكمن سعادته ، وهو لا يكتفي بان يدعو الى انسانية الانسان ، بل يدعو الى انسانية الشعر [٢] ، لا تطاله أوامر النقاد ، الشاعر في رؤياه يقودكم ، سأمان ، من انوفكم عبر التعاسات .

ولا يقاد كالحصان في سراه
فلتخفضوا يا سادتي الجباه
لأنكم لم تعرفوا – اواه –

يرى البياتي ان الذات الإنسانية ، تتحدى العالم وعبثية الاشياء المتمددة فيه لكثرة تكرارها وانتشارها الأبدي اللا مجدي – كأنه يذكرنا هنا بصخرة سيزيف ويتأكد من ذلك احساسه بعبثية الوجود عبر مجازفته مع اشياء الوجود وقيم العالم ، فأصابه الضجر من كثرة التقريظ المزيف فيقول [٣] :

شربت من خمر الأمير ، ورأيت في نهارى ليلة النجوم
أكلت من طعامه المسموم
اصبت بالتخمة والحمى بالضجر

---

(١) ولد عام ١٩٢٦ في بغداد ، تخرج من دار المعلمين العالية ١٩٥٠ ، له عدة دواوين فيها ملائكة وشياطين ١٩٥٠ ، أباريق مهشمة ١٩٥٤ ، النار والكلمات ١٩٦٤ ، سيرة ذاتية لسارق النار ١٩٧٤ .. الخ .

(٢) ميخائيل ، اما طانيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ .

أصبحت في بلاطه حجر
صفرا يدور في الفراغ ، آلة تدار

ونلتمس تأكيده على الذات في قصيدة (مسافر بلا حقائب) التي يقول فيها [١] :

وانا سدى – في الريح اسمعها تناديني (تعال !)
عبر التلال
وانا والاف السنين
متثائب ، ضجر، حزين
من الامكان
تحت السماء
في داخلي نفسي تموت ، بلا رجاء
وانا والاف السنين
متثائب ، ضجر ، حزين

ان الأمل يتضائل ضوؤه أمام مستقبل الشاعر ، بل انه يشعر بالسأم في كل خطوة [٢] .

نفس الحياة يعيد وصف طريقها ، سأم جديد
اقوى من الموت العنيد
تحت السماء
بلا رجاء
في داخلي نفسي تموت
كالعنكبوت

(١) البياتي ، عبد الوهاب : أباريق مهشمة (ديوان) ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ص ١٩ . وانظر عباس ، د. احسان : اتجاهات الشعر العربي المعاصر (عالم المعرفة) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٧٨ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .
(٢) البياتي ، عبد الوهاب ، أباريق مهشمة من ص ٢٠ – ٢١ .

نفسي تموت
وعلى الجدار
ضوء النهار
يمتص أعوامي ، ويبصقها دما ، ضوء النهار
ابدا لأجلي لم يكن هذا النهار
سأكون لا جدوى ، سأبقى دائما من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان

انها صورة قائمة تشكل اعنف انغلاق على الذات نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها الشاعر في تلك الحقبة المبكرة من عمره في ذلك الزمن والتي جعلت منه شاعرا متشرذا مطاردا داخل الوطن وفي الخارج مهاجرا الى ذاته ومناخاتها وقد صورها في (مذكرات مجهول) [١] .

وابشع الليل الطويل
والموت في الريف العراقي الحزين
وكان جدي لايزال
كالكوكب الخاوي على قيد الحياة

أما احساس البياتي بالغربة فقد جاء مبكرا والاغتراب عنده يبدأ عندما يلقي الانسان مصيره وحيدا ، ويواجه محنته بمفرده ، وقد شبه الانسان المنقطع بقطرة المطر الوحيدة المنفردة ، وطأ لما ردد هذا المفهوم في الكثير من قصائده ولاسيما في حواراته عشاق في المنفى [٢] .

- وانا
- وانت ؟
- انا وحيد
- كقطرة المطر العقيم - أنا وحيد

---

(١) البياتي ، عبد الوهاب ، مذكرات رجل مجهول ، ص ١١ . .
(٢) المصدر نفسه ، قصيدة عشاق في المنفى ، ص ٥٢ .

- وهؤلاء
- مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدار
- مثلي ومثلك مقبلون على انتظار

على الرغم من كل ماتقدم ، فأن البياتي قد تأثر بعبثية كامو ولاسيما في ديوانه (اباريق مهشمة) ، ويتضح ذلك في قصيدة المنفى التي يقول فيها [1] .

عبثا نحاول ، ايها الموتى - الفرار
في مخلب الوحش العنيد
من وحشة المنفى البعيد
الصخرة الصماء ، للوادي - يدحرجها العبيد
(سيزيف) يبعث من جديد - من جديد
في صورة المنفى الشريد

(١) البياتي ، عبد الوهاب ، أباريق مهشمة ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

بلند الحيدري [١]

أما بلند الحيدري ، فهو رابع شعراء الرواد ، وكان له دور متميز في شعر التفعيلة ، بل انه يتقدم على بقية الشعراء السابقين من حيث التأثر بالفلسفة الوجودية لاننا نجد عنده حسا وجوديا يتمثل في تأكيده الدائم على ذاته فضلا عن ذلك فهو يعكس ذلك في اشعاره ، فهو يعكس معاناته الداخلية ويعبر عنها شعرا وكثيرا مايستخدم الحيدري المفاهيم والمصطلحات الوجودية ، بل انه يكثر من استعمالها ، وهذا ليس غريبا عنه ، فالحيدري من اصحاب جماعة (الوقت الضائع)[٢] ، وهي جماعة من الشباب العراقي تأثرت بالفكر الغربي وبفنه وتأثرت به تأثرا قويا ولاسيما بالتيار الوجودي ، لذلك جده يسير على خطى ما تراه الفلسفة الوجودية في هذا الموضوع فيقول في قصيدة (كاليغولا)[٣] :

أأسكت
ان بقلبي قي
وان هوانا ممل
وان هنا رغم السرير
هنا رغم السرير الصغير
سيرقد بيني وبينك ظل
يولول همسك عن الفاشي
ويوغل امسك في كل شيء
واحسست ان لدي

(١) شاعر عراقي ، ولد في بغداد ١٩٢٦ ، وتوفي خارج العراق ١٩٩٦ ، له عدة دواوين شعرية أهمها الاغاني الميتة ١٩٥١ وخطوات في الغربة وغيرها .

(٢) هم جماعة مثقفة تأثرت بالفكر الغربي ومنهم القاص نزار سليم ، حسين مردان ، والفنان جميل حمودي وابراهيم اليتيم ، وكانت تلتقي في مقهى اسمه ؟ (واق واق) بالقرب من ساحة عنتر ، انظر د. الطاهر ، علي جواد ، نزار سليم في تاريخ الريادة الفنية للقصة العراقية ؟ (مقال) : مجلة اقلام ، دار الشؤون الثقافية ، العدد ١٢ ، ١٩٨٨ .

(٣) الحيدري ، بلند ، خفقة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٤ ص ٢٠ .

حديثا وبلا ملل
وانك كتلة لحم عتيق
عروق تغل هوى لايفيق
- اثم - احس بقلبي في

كما نجده عنده احساسا دائما بالغربة والضياع والقلق ، يجسدها في قصيدة (الخلوة الضائعة) [1] :

كان الشتاء يحز ارصفة المحطة
وتموت عاصفة كقطة
وعلى الطريق
يهتز فانوس عتيق
فيهتز قريتنا الضنينة
ماذا سأفعل في المدينة ؟
وسألتني
ماذا ستفعل في المدينة ؟
ستظيع خطوتك الغبية في شوارعها الكبيرة
ولسوف تسحقك
الأزقات الضريرة
ولسوف ينمو الليل في أعماقك الصماء
آمالا حزينة

أن إحساسه بالغربة لم يعد إحساسا بالغربة عن الوجود ، بل اصبح غربة عن الموجود البشري الذي ينظر اليه باشمئزاز واضح ولعل هذا يعود الى نظرته

(١) الحيدري ، بلند : اغاني المدينة الميتة وقصائد اخرى : (ديوان) نشرته التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٥٧ ؛ قصيدة الخلوة الضائعة ، وهذه القصيدة جاءت في ديوان (خطوات في الغربة) ص ١٢٢ .

للآخر ، فهو مختلف مع ابناء مجتمعه ، فهو يرى ، من غير الضروري الارتباط بالاخرين ، ويعبر عن ذلك في قصيدة (ساعي البريد) التي يقول فيها [١] :

ساعي البريد
ماذا تريد ؟
اخطأت ....
لاشك فما من جديد
تحمله الارض لهذا الطريد

وهنا يذكرنا بموقف سارتر نحو الآخر ، ولا سيما في مسرحية (جلسة سرية) التي تصور لنا أن الآخرين هم الجحيم ، وبلذ يعترف صراحة أنه متآثر بالوجودية عامة ووجودية سارتر خاصة [٢] .

ولعل أنقطاعه عن هذا الآخر يولد أحساسا عند بلند بالذات فيحاورها عبر رمز الأتصال (الهاتف) [٣] .

يرن ، يرن ، يرن . . يرن
من أنت
أنا أنت
لقد أخطأت . أخطأت . . . أخطأت
لا أنت أنا
وأنا لا أعرف من نحن
هل نحن إثنان

(١) الحيدري ، بلند : اغاني المدينة الميتة وقصائد اخرى (ديوان) شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٧٣ .

(٢) سارتر : جلسة سرية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم جاهد ، دار النشر المصرية ٢ ص ٩٩ ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٣) الحيدري ، بلند ، رحلة الحروف الصفر (ديوان) ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٠ ، قصيدة وحشة ، ص ٤٧٩ .

أم جيل . . . أم جيلان

هذا الإهتمام بالذات عنده يتحول الى عزلة سرعان ما يعتبرها صورة من صور الموت فيقول عنها :

هكذا أنت نموت

عشبة صفراء في ضفة موتي [١]

بل أن هذه الوحدة تحولت الى يأس وسأم عنده فيقول [٢] :

سئمت وجهك نفسي

أتركيني

صخبا أزحف في الطين وأمسي

بعد حين

لي مثل الناس صوتي

لي مثل الناس حسي

أتركيني

أنا للناس

وللنسر الذي ينهش صدري

ويتساءل الحيدري عن وجوده في هذا العالم والذي يرى ان لا جدوى لوجوده بل يفر بعبثيه هذا الوجود ، ولعل هذا الأحساس هو الذي قاده للأحساس الدائم بالغربة والعذاب مما قاده الى تأمل ميتافيزيقي متشائم من هذا العالم وأشيائه المتحركة الغنية بالنهاية والموت [٣] :

وتسألت ما الحياة . . . ؟

فدبت كلمات صفيقة في شعوري

---

(١) الحيدري ، بلند : أغاني المدينة الميتة ، قصيدة وحدتي (ديوان) خالي من أرقام الصفحات ، وأنظر ، الحيدري ، بلند ، خطوات في الغربة ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٨ – ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه .

أنها جيفة وأنا عليها نتن غارق بحلم كبير

أخيرا يرى بلند أن هذا الإحساس والشعور بالتشرد يعود الى أوضاع العراق السياسية والإجتماعية قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ، وأنه على هذا الأساس كان يعكس معاناته الداخلية . ويحاكيها ، فانه وبعد أن تغيرت ظروف بلده ، يروى أن تجربته نحو الآخر ، وبعد أن عانى الغربة (العذاب السيزيفي) القائل تغيرت وتغيرت رؤيته الحضارية للمستقبل ، فأصبح الحب بدل التمزق والأمل بدل اليأس ، والأنفصام يصير تواصلا ، والتمزق العنيف يصير أنسجاما ، ولن يهرب بعد اليوم الى عوالم اليأس والتشكك والعبث [١] .

(١) ميخائيل ، اماطانيوس : المصدر السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

الخاتمة :

لقد تأثر جيل الخمسينات والستينات في هذه الفلسفة التي أصبحت سمة العصر في العالم بعامة والوطن بخاصة ، حيث من النادر جدا ان نجد مفكرا وأديبا وفنانا وعلى مختلف الأصعدة لم يكتو بنار الوجودية في تلك الفترة وان كان هذا التأثر بنسب مختلفة لان أغلب فنون الآداب الإنسانية قد تأثرت فيها وكان لشعر التفعيلة نصيب من هذا التأثر ، ولكثرة الشعراء الذين اهتموا بهذا اللون مما يصعب دراستهم في بحثنا هذا ، وعليه فقد تناولنا الرواد ، الذين كانت لهم الأسبقية في كتابة شعر التفعيلية في العراق وربما في الوطن العربي وهم : بدر شاكر السياب ، نازك الملائكة ، البياتي ، بلند الحيدري وتأثرت أعمالهم بالفلسفة الوجودية .

تتبعنا أثر الفلسفة الوجودية من خلال البحث في المقولات الرئيسة للفلسفة الوجودية التي تعد بمثابة الحجر الأساس للوجودية وعلى هذا الأساس نجد ان بدر شاكر السياب يحب الفلسفة ، وخاصة الفلسفة الوجودية ، لأن كثيرا من مفاهيمها تعبر عن حالة الحرمان والوضع النفسي والصحي الذي كان يعيشه ومن المفاهيم التي نجدها في قصائد السياب مفهوم (الموت) ، ذلك الاحساس الذي لم يفارقه يوما حتى اصبح عنده طائرا اسطوريا يبشر بوحدة العالم وانسجامه كذلك كان للاغتراب الذاتي الذي يجسده الحنين الدائم للوطن ، لكن في حقيقة الامر لم تكن غربته ، غربة مكان أوغربة سياسية ، بل هي غربة وجودية حقيقية مما ادت به الى الاحساس بأن الحياة لا جدوى منها ، فيما كانت نازك الملائكة تلح على (الذات) التي تعد من اهم المقولات في الفلسفة الوجودية انها تحس بالذات احساسا مسرفا رافقه قلقا وجدوى ادى بها الى اغتراب مطلق قادها الى نزعة صوفية ، فضلا عن ذلك فهي بدأت تتعامل مع المقولات الوجودية مثل اليأس والحزن والكآبة والوجود والغربة ، كما يتعامل الفلاسفة الوجوديون الكبار ، ومثلها كان بلندر الحيدري يحمل تجربة اغترابه الوجودي بوعي تام ، وشكل اغترابه ذلك انفصالا عن جذره الانساني فتولد عنده الضجر ، والضياع ، والقلق ،